

مجموعات الحوار اليهودي العربي ومشاريع التعايش – الى أين؟

جنان عبده*

ظهر الناشطون الذين يشجعون التعايش والحوار والتعليم من أجل حياة مشتركة بين العرب واليهود في إسرائيل في أواخر سبعينيات القرن الماضي. في الأغلب، كانت النظريات التي اعتمدت والنماذج أمريكية استوردت من هناك لحلّ الصراعات (أبوزيدان، 2009؛ Abu Nimer, 1999).

حدثت تحولات في التوجّهات النظرية والعملية لمجموعات الحوار اليهودي العربي خلال العقود الثلاثة الماضية بناء على التجربة. تركزت نشاطات هذه المنظمات في البداية حول حوارات مخطّط لها مسبقاً وموجّهة نحو "التعايش". دلت التجربة أنّ فهم معنى "التعايش" وهدف هذه المجموعات اختلف بين اليهود والعرب المشاركين في هذه المجموعات. في الغالب، الإحباط وعدم الرضى عن المضامين والأهداف رافق المشاركين العرب وكذلك الموجهين العرب (حلي، 2000؛ Rouhana & Karper, 1997؛ Abu nimer, 1999).

شدّدت بعض المجموعات على اللقاء الإنساني بما يعنيه من تمحور في ما يحدث للأفراد على المستوى الشخصي، والتغييرات الداخلية لدى الأفراد، والبحث عن المشترك، وإقصاء الاختلاف والتوتر وعدم التعامل مع القضايا السياسية "الإشكالية". وركزت مجموعات أخرى على أنّ التوتر منبعه من الاختلاف الثقافي والجهل بثقافة الآخر. فقد تجاهلت هذه المجموعات العامل الأساسي للصراع والبعد الخلفي في العلاقات بين المجموعتين من الأساس (سليمان، 2000). تميل بعض المجموعات إلى العمل على برامج ترفيه تُشيع شعوراً بالراحة لدى المشاركين ولا تُضطرّهم إلى التعاطي مع الأسئلة الصعبة. في المقابل، طوّرت بعض المؤسسات العاملة في المجال -كما في "مدرسة السلام"، نماذج خاصة بها بناء على التجربة المكتسبة من العمل. شدّدت هذه المجموعة على أنّ الصراع بين العرب واليهود هو صراع بين شعبين، بين هويتين قوميتين، لا بين أفراد. من هنا، المجموعة هي عالم مصعّر /انعكاس للواقع، وعلى هذا الأساس جرى العمل. اختلف تعامل العرب واليهود داخل هذه المجموعات مع الموضوع، وانعكست علاقات القوى داخل المجموعات كذلك (حلي وزوننشايين، 2000).

شهدت بعض الفترات السياسية (كتلك التي أعقبت اتفاقيات أوسلو، ومنتصف التسعينيات، ولاحقاً تلك التي تلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وهبة أكتوبر) تمويلاً يهودياً أمريكياً ضخماً لمشاريع تعايش من صناديق تابعة لتيارات ليبرالية. أحياناً لم يكن ذلك على نحو مباشر، بل من خلال مواضيع المرأة والطفولة، والحوار بين الأديان، وتدريس السلام والتعليم

من أجل قيم ديمقراطية. وانقسم العمل والحوار اليهودي العربي إلى العديد من المجالات والمجالات الفرعية كالمذكورة (اتجاه، 2005).

أكد بعض الباحثين أنّ الحقيقة المتمثلة في كون منبع التمويل في الأساس- من مصادر يهودية خارجية غير رسمية، أو من مؤسسات رسمية حكومية كوزارة المعارف، هذه الحقيقة كان لها بالغ الأثر في تحديد حدود المسموح به والممنوع في هذه المجموعات (سليمان، 2000)، وقد رجّحت الكفة والأهداف لصالح حاجات المشاركين اليهود. وقد أدى الأمر إلى حالة من العمى في مجالات معينة جراء عدم قدرة مجموعة معينة (هي المجموعة اليهودية في هذه الحالة) على التعبير عن حاجات المجموعة الأخرى- العربية.

بيّنت أبحاث عديدة أنّ نظرية الاتصال ليست كافية لإحداث التغيير المطلوب. بل إنّ اللقاء قد يسيء إلى العلاقات ويؤثرها أكثر إن لم يستوف الشروط المطلوبة (Amir 1976، Cook, 1984). ودلت أبحاث أخرى أنّ غالبية هذه المجموعات (التي كان في صلب عملها عقد لقاءات لمجموعات إثنية مختلفة) لم تحدّد لنفسها أهدافاً واضحة، وأنّ الأساس النظري لها لم يكن دائماً واضحاً. بل إنه جرى تفسير وفهم المسارات التي تخوضها المجموعات وتحديد عوامل التغيير على نحو مخطوء. وقد سيطر عنصر التجربة والخطأ على هذا العمل، ولم يكن العمل شاملاً بل عيياً (Rouhana & Karper, 1997)؛ فقد تجاهل كذلك علاقات القوى القائمة بين المجموعتين والمشاركين من المجموعتين المنتمين إلى أقلية وأغلبية. وبالتالي، إنّ ردّ فعل المشاركين من كلّ مجموعة اختلف عن سواهم بناء على ذلك.

شهدت السنوات الأخيرة انخفاضاً كمياً في عدد المنظمات التي تعمل في مجال العلاقات اليهودية العربية من 180 إلى نحو 80 منظمة، وتكرّس جزءاً يسيراً من عملها للعلاقات العربية اليهودية (أبو زيدان، 2009)؛ وذلك بسبب رفع مستوى الوعي عند الفلسطينيين في الداخل وبسبب أحداث أكتوبر بشكل مباشر (أنظر حلبي في هذا العدد).

رغم وجود هذه البرامج واستثمار أموال طائلة فيها، يشكو العاملون في هذا المجال عناء ضرورة البحث عن أساليب ونماذج جديدة؛ إذ إنّ تلك المتوافرة حالياً لم تتمكن من تحقيق تغيير ملموس على المدى الطويل في العلاقات اليهودية العربية، ولا في موقع العرب داخل الدولة. ويؤكد بعض العاملين في هذا الحقل أنّ هذه اللقاءات في المحصلة ليس في مقدورها أن تغيّر الواقع، وليس هذا هدفها، وأنّ ما تُحدثه في الحقيقة هو تغيير فردي لدى المشاركين، في أحسن الأحوال. ذلك ما يثير تساؤلات حول نجاعتها والفائدة منها، ويجعل العاملين في الحقل يواجهون طيلة الوقت تخبّطات وتساؤلات تبحث عن إجابات (Sonnenschein,2004 Halabi and).

* جنان عبده - مساعدة تحرير مجلة "جدل" ومنسقة أنشطة في مدى الكرمل

مصادر:

أمل أبو زيدان (2009). "الحاجة إلى إعادة تقييم العمل اليهودي العربي ومجموعات الحوار في إسرائيل. خدمة كومون جراوند الإخبارية- الشرق الأوسط.

<http://www.commongroundnews.org/article.php?id=26852&lan=ar&sid=0&sp=0>

اتجاه (2005). "السياسات الدولية في تمويل الجمعيات". آفاق العمل الأهلي الفلسطيني- اجتهادات جماعية. حيفا.

حلبى، ر. وزوننشاين، ن. (2000). خيار الوعي وامكانية التغيير. ورد في ر، حلبى (المحرر)، حوار الهويات: لقاءات عربية- يهودية في واحة السلام، ص 9-15. القدس : معهد الدراسات- مدرسة السلام. (بالعبرية)

حلبى، ر. (في هذا العدد). اللقاء الفلسطيني اليهودي في سبيل ترسيخ الوضع القائم.

سليمان، ر. (2000). اللقاء المنظم بين يهود وفلسطينيين كعالم مصغر. ورد في ر، حلبى (المحرر)، حوار الهويات: لقاءات عربية- يهودية في واحة السلام، ص 29-49. القدس : معهد الدراسات- مدرسة السلام. (بالعبرية)

Abu-Nimer, M. (1999). **Dialogue, conflict, resolution and change: Arab-Jewish encounters in Israel**. Albany, NY: SUNY Press.

Amir, Y. (1976). The role of intergroup contact in change of prejudice and ethnic relations. In P. A. Katz (Ed.), **Toward the elimination of racism** (pp. 245-308). New York: Pergamon.

Cook, S. W. (1984). Cooperative interaction in multiethnic contexts. In N. Miller & M. Brewer (Eds.), **Groups in contact: The psychology of desegregation** (pp. 155-185). New York: Academic Press.

Halabi, R., & Sonnenschein, N. (2004). The Jewish-Palestinian encounter in time of crisis. **Journal of Social Issues**, 60 (2), 373-389.

Rouhana, N., & Korper, S. (1997). Power asymmetry and goals of unofficial third party interrelations in protracted intergroup conflict. *Peace and Conflict: Journal of Psychology*, 3, 1-17.